المحاضرة الثانية: تمظهرات الفعل الفلسفي في الحياة اليومية

ان من تمظهرات الفعل الفلسفي في الحياة اليومية هو الحرية التي يحظى بها المرء وحظي بها عبر العصور فقد نادى الفلاسفة والمتفلسفة على حد سواء بضرورة الحرية في الفعل والعمل والتفكير لأنه "نظرا للإقبال على رأي الأخر في الاعتماد على المناقشة النقدية وعليه يؤسس كارل بوبر لمنادي الحرية الفكرية ومسؤولية المفكرين اتجاه تحقيقها عبر أفاق المستقبل المفتوح"[1].

فإذا كانت مهمة الفلسفة بحسب ما يشير الى دلك جود ديوي، هي توضيح أفكار الناس المتصلة بنزاعاتهم الأخلاقية والاجتماعية لأزمنتهم **"فإن هذه النزاعات لن تنتهي وباستمرارها تستمر الفلسفة طالما بقيت في الثقافة فسحة من الحرية والانفتاح تجعل من نقد المؤسسات والممارسات إمكانية قائمة...وبوجود الحرية في الثقافة توجد الفلسفة ويصح كدلك العكس"**[2] هذا المستقبل الذي سعت الفلسفة الى التاسيس اليه عبر مختلف محطاتها التاريخية حيث استطاعت أن تكرس تنوعها وتبرز تواجدها في مناحي الحياة المختلفة فتبلورت بشكل عفوي لدى المبدعين من الفنانين والرسامين والموسيقيين والشعراء والأدباء والعلماء والفقهاء ايضا وأصحاب الاختصاصات المختلفة اضافة الى عامة الناس بمن فيهم من رفض الفلسفة لفظا وشيوعا ومارسها واستلهمها وعاشرها طوعا ولا شعورا وهذا حال الكثير من الافراد والأشخاص من العامة او الخاصة وهنا تتولد **"الفلسفة الشريدة[3]* المفتوحة والمتنوعة التي تعانق دائما الحياة اليومية وتنصت الى**

---

[1] - علي عبودالمحمودي، الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات الى السرديات الصغرى، ابن النديم للنشر و التوزيع،وهران، ط1، 2012، ص155

[2] -محمد جديدي، الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رورتي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائرن ط1، 2008، ص 186.

«يطلق عليها اسم فلسفة التنوع و الفلسفة الشريدة او فلسفة الانفتاح، رغم ان التسمية مختلفة الا ان المضمون واحد، فلقد قام المفكر فتحي التريكي بالتاسيس لفكرة التنوع او ما سماه بمعقولية التنوع، و اسسها العلمية و الاجتماعية و السياسية، حيث تقوم معقولية التنوع على نقد العقل الموحد، لان العلم لم يعد يعتمد النظرة الواحدية لان العقل الموحد مشكلة لا تكمن في

هموم الناس ومشاغلهم...فالفلسفة مهما كانت توجهاتها هي توضيح للمفاهيم والتصورات وتحديد الافكار والمجالات ونقد الاطروحات والمواقف وهي بدلك ابداع متواصل وانفتاح على كل الافكار والمعتقدات دون اقصاء أو تطفل"[4].

ومادامت الفلسفة هي اكتشاف للعنصر العقلي فإنها لهذا الاسبب نفسه إدراك للحاضر وللواقع بالفعل، فالفلسفة هي ادراك للواقع الفعلي وليس مهمتها أن تشيّد عالما في الماوراء وهذا ما دهب اليه هيغل في كتابه أصول فلسفة الحقن حيث يكتب بقوله **"من المرغوب أن تُفهم الفلسفة أنّ مضمونها ليس إلاّ الواقع الفعلي، أعني لبّ الحقيقة الذي نتج في الأصل، وينتج ذاته في تطاق حياة العقل، وأصبح هو الذي يشكّل العالم الداخلي والخارجي للوعي"[5]**، فتوجه الفلسفة الى الواقع هو الأمر الذي يمكّنها من استرجاع ثقافة السؤال واسترجاع قوتها ومكانتها وأصالتها، لهذا نجد شفيستر ينتقد الحالة التي وصلت إليها النوعة العقلية "التي تقوم بوظيفة الفلسفة مجازا لا حقيقة، في الخيال لا في الواقع...أن تأخد الفلسفة بالمرجعيات العريقة أو الحديثة هو سبب عدم فاعليتها، (لم يعد فيها أي عنصر أساسي يمكن أن يصبح فلسفة للشعب..إن قيمة أي فلسفة هي في النهاية إنّما تقاس بقدرتها أو عجزها، عن أن تتحول إلى فلسفة حية للشعب)"[6]

وهدا ما تجسد في فلسفة ميشال فوكو الذي درس الفلسفة واهتم بها، ونظرا لما تقدمه الفلسفة للواقع فهي تهتم بالمحيط الخارجي للإنسان وأحاطت به من كل جوانبه إذ أن فوكو يقول في هذا السياق أنه ان كانت هناك فلسفة حرة مستقلة عن كل الميادين هي نشاط تشخيصي ففوكو يرى أن الفيلسوف هو من يشخص

العلم فقط بل في الميدان السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي، هي مشكلة معقولية العقل المتنوع في محل منطقية العقل الموحد. »[3] *

[4] -فتحي التريكي، فلسفة الحياة اليومية، مرجع سابق، ص 12.

[5] - محمد شوقي الزين، المرجع نفسه، ص666.

[6] - محمد شوقي الزين، المرجع نفسه، ص 666.

أمراض الواقع المعاش ويحلل حاضره، فيصبح المشروع الفلسفي مشروعا يهتم بحاضرنا وبواقعنا المعاش قبل اهتمامنا بماضينا.[7]

وبهذا يعني أن الفيلسوف في رأي ميشال فوكو هو من اعطى أهمية للواقع وعالج المشكلات كما أن الفيلسوف في رأي فوكو يهتم بحاضر الإنسان أكثر من الماضي.

انطلاقا من هذا فإن مهمة الفيلسوف أصبحت تتحدد ليس فقط بمعايشته لعصره وقيم هذا العصر، بل أصبح من الضروري عليه الانخراط في نقد هذه القيم وأن يكون الضمير الذي يفكر فيها بطريقة مختلفة، وهنا نستحضر فرونسوا ليوتارد في إحدى مؤلفات الشباب: في اختلاف الأنساق الفلسفية فيخته وشيلينغ يقول هيغل: "عندما تتلاشى القوة الموحدة لحياة البشر وتفقد التناقضات علاقتها وتفاعلاتها الحية وتحصل على استقلالها الذاتي تنشأ الحاجة إلى الفلسفة "..." هذا جواب واضح كل الوضوح عن سؤالنا لمادا نتفلسف" إن هذا اللفظ لهيغل يبين بوضوح أن الفلسفة تنشأ في الوقت الذي يفنى فيه شيء ما..." فعندما تفقد الوحدة وتنشأ الاضداد تبرز وتظهر الفلسفة ويشارك الفلاسفة الحياة بمختلف أضدادها وتناقضاتها.

فالخطاب فلسفة والرغبة فلسفة والكلام فلسفة والغياب فلسفة والحضور فلسفة والصمت فلسفة والنقد فلسفة والهدم فلسفة، فكل سؤال يمكننا أن نجيب عنه بسؤال اخر فمثلا **"يمكننا أن نجيب عن سؤال لمادا نتفلسف؟ بسؤال اخر: لمادا نتكلم؟ وبما أننا نتكلم، فما الذي يعنيه الكلام؟ وما الذي لا يقدر الكلام على وله؟..."**[8] فالحياة كلها فلسفة والفيلسوف هو من يعبر عن عوزه الدائم لهذه الفلسفة التي هي

---

[7] - فتحي التريكي ، الفلسفة الشريدة، دار التنوير للطباعة والنشر،ط1، 2009، ص22

[8] -جان فرانسوا ليوتارد، لمادا نتفلسف، تر: يوسف السهيلي،دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص 95.

حياة والحياة يغيرها الفلاسفة حيث كانت الأطروحة الثانية حول فيورباخ التي ألفها ماركس الشاب تقول **"مافتئ الفلاسفة يتأولون العالم باشكال متعددة، في حين كان لزاما عليهم تغييره"**[9]، لهذا يمكن للفلسفة أن تلعب الدور العلاجي للثقافة ككل فهي التي تؤكد على حرية الفرد في الفتكير والخيار والقرار، فهي التي تحرر ولا تسجن كما تفعل الاديولوجيا

ولكن رغم قيمة واهمية هذا الطرح الا انه لا يجعلنا نغفل القول والذكر والحقيقة التي يجب اقرارها أن **"الفلسفة ومنذ رحيل ارسطو عرفت انتكاسات متتالية خرجت على اثرها عن مضمونها الحقيقي التي وجدت من أجله، فبعدما كانت تمثل الحضور، تبحث في الوجود واللاوجود، في العقل ووظائفه، التي شكلت مواضيعها، تراجعت وانحسرت خلال الفترة الهلينيستية، منكمشة على مواضيع النفس ...مكتفية بطرح تساؤلات، تعكس الخوف والنفور بكل اشكالهما، فلم تعد تهوى المغامرة المعرفية كما كانت مع سقراط وافلاطون وارسطو..."**[10] وهذا الانحدار كان متوقعا نظرا للتطور الذي بلغته من قبل.

كما انه هناك حقيقة اخرى يجب اقراها والتي كانت سببا في انحدار الفكر الفلسفي وتراجعه بعدما بلغ نضجه وقوته وهو بحث الفلسفة في اليوتوبيا التي ظهرت في أعمال أفلاطون وأرسو المتأخرة والتي تمثل كتابات الشيخوخة، **"واليوتوبيا بالنسبة لهما كانت الخيار الوحيد للاستمرار فيه فلسفيا، وهذا راجع لاستنفاذهما لكل المواضيع التي كانت في إمكان العقل، والتي لم تخرج عن واقعهم، هذا الاستنفاد قاد إلى خلق مواضيع جديدة أقرب إلى الخيال من الواقع ليبررا بها حضورهما الفلسفي في مجتمعاتهم...والأكيد أن الفلسفة حينما تصير يوتوبية**

---

[9] - جان فرانسوا ليوتارد، المرجع نفسه، ص101.

[10] -مونيس بخضرة، تاريخ الوعي، مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2009، ص 158.

يصيبها الشلل الذي يفقدها حيويتها وجوهريتها..."[11]، وعليه ان الفلسفة حينما تصير يوتوبية فإن وجودها أصبح مهددا وهدا هو حالها اليوم وهدا هو حالها اليوم، لهذا لا بد من إخراج الفلسفة من اليوتوبيا التي كانت سببا في انتكاسة المعجزة اليونانية.

ما نتبينه في الأخير هو أن الفلسفة غريبة **"دوما وما أشد غرابة الفلسفة، في منشئها وصيرورتها وراهنها، وما لا تفقده الفلسفة في هذه المسارات إنما هو غَرابتها وغُربتها، فهي على التحقيق سؤال الغريب عن روح عصره، بالرغم من أنّ المناحي الوضعية في التفكير تعتقد بأنّ تاريخ الفلسفة هو تاريخ تراجعها، وأنّ العقل العلمي هو الذي يعقب العقل التأمّلي، إلاّ أنّ الفلسفة ما انفكّت تذكر حفّاري قبرها بأنّهم لن يستطيعوا الاستغناء عنها، فأسئلة القلق الفلسفي والمعنى والقيمة بالرغم من سطوة أنظمة المعرفة العلمية قد انبعثت فيها الحياة من جديد، وما دلك إلاّ لأنّ الإنسان المعاصر قد أضحى يفتّش عن إمكانات للحياة جديدة، بعد أفول الأمان الوجودي واغتراب الوعي الفردي في عصر الصناعة"**[12] *.

بهذا تبقى الفلسفة والفلاسفة موجودون ويؤثّرون ويشاركون في المعيش، فلكل فرد فلسفته في الحياة فقط البعض لا يعترف أو لا يدرك أنه فيلسوف بطريقة أو بأخرى لأنه يمارسا نوعا من التفكير ومن التأمل ومن الحرية ومن النقد ومن السؤال ومن البحث، وهذا ما يبرز درس الفلسفة في الحياة اليومية وفي الواقع

---

[11] - مونيس بخضرة، تاريخ الوعي، مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع، المرجع نفسه، ص 158.

[12] -عبد الرزاق بلعقروز، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح، تأولات الفكر العربي للحداثة وما بعد الحداثة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 11،2010.

* من هذه المفاهيم التي برزت الى الساحة الفكرية والفلسفية واصبحت محور نقاش محلي وعالمي وإنساني وفلسفي نجد: مأزق الحداثة، الاغترابن أزمة العقل، أزمة الإنسان المعاصر، استيعاب الحداثة، ما بعد الحداثة، الولوج إلى ما بعد الحداثة،، المنعرج الاستيتيقين المنعرج التأويلي، المنعرج الهيرمينوطيقي،...مجتمع الكارثة وغيرها كثير.

المعيش، لهذا لن نعود الى مفهوم الفلسفة إلا من خلال الاشارة غلى أنه يمكن أن نستقي ونتبين أن هناك مفهومين للفلسفة وهما المفهوم بالمعنى العام والمفهوم بالمعنى الإجرائي، الأول هو الذي يتنكّر اليه الناس ويرفضونه وهو الشائع والعام، في حين الثاني يمارسونه ويعايشنوه لكن لا يدركون أنه من صميم الفكر الإنساني ولا يستشعرون أنه فلسفي بصيغة إجرائية منبعه هو المفهوم النظري أي الأول لأن كل عمل فكري هو منطبق على شيء ما، وما هو سوى عملية مترتبة عن تلك العمليات العقلية المتعاقبة.

فقد أصبحت الفلسفة في العصر الحديث والمعاصر تهتم أكثر من ذي قبل بما هو كائن، تبحث في الحضارة الراهنة، حضارة القمع والارهاب، كما ينعتها الفيلسوف المعاصر عربرت ماركيوز في كتابه "الإنسان ذو البعد الواحد"، لهذا على الممارسة الفلسفية الاهتمام بتشخيص أمراض هذه الحضارة لأن الفلاسفة كما يقول نيتشه هم أطبّاء الحضارة، خاصة بعدما أصبحت "الحضارة أكثر تناطوسية(نسبة إلى الإله تيناطوس إله الموت)، فبدا الوجود أكثر شهريارية من شهريار(رمز سفك الدماء الاعتداد بالنفس المفتعل"[13]، خاصة في ظل الصراع القائم بين القوتين العظيمتين وبحثهما المتواصل عن تقاسم مواطن النفوذ.

[13] -انظر سليم دولة، ما الفلسفة، المرجع السابق، ص 89.